- فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ الدُّكتورِ/ أحمد الطَّيِّب.
- أصحابَ المعالِي والسَّعادةِ، ومِن قبلِهِم أصحاب الفخَامةِ.
أريدُ أن أسجِّلَ كلمةً من حقِّ فضيلةِ الإمامِ الأكبرِ علينَا؛ وهِيَ أنَّ الدُّكتورَ أحمدَ الطَّيِّبَ الَّذي درَسَ الفلسفةَ، وتخصَّصَ في الفلسفَةِ الإسلاميَّةِ، وَضَعَ يدَهُ تمامًا علَي صحيحِ الإسلامِ والمعنَى والمغزَى لكُلِّ تعاليمِهِ، فكانَ كمَا نرَاهُ، وأصبحَ الأزهرُ في عهدِهِ كمَا نشهدُهُ.
نحنُ سعداءُ بهذِهِ الرُّوحِ يَا فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ، ولقد عَبَّرتَ أنتَ في كلمتِكَ عندَمَا ذكرتَ أنَّ شيوخَكُم السَّابقينَ الَّذينَ درَسُوا فِي الغربِ علَّمُوكُم توقِيرَ الأئمَّةِ والعلماءِ في الغربِ، وتلكَ فِي ظنِّي هيَ الرُّوحُ الإسلاميَّةُ الحقيقيَّةُ الَّتي تفيضُ بالتَّسامُحِ، وتحترِمُ حقَّ الاختلافِ، ولا تتعصَّبُ ولا تنحَازُ.
وأُذَكِّرُكَ يا فضيلةَ الإمامِ- وأُذَكِّرُ نَفسِي- أنَّكَ أنشأتَ بيتَ العائلةِ عندَمَا جرَى اعتداءٌ علَى إحدَى الكنائسِ في العراقِ، فكانَ ذلكَ في حدِّ ذاتِهِ بُرهانًا علَى الفَهمِ الصَّحيحِ لدُورِ الأزهرِ وهُوَ دورٌ أُمَميٌّ، يَنبُعُ من أُمَميَّةِ الإسلامِ ومكانتِهِ وقِيمتِهِ.
استمعتُ جيِّدًا إلى مَا جَرَى في الجَلسَةِ الافتتاحيَّةِ، وأنَا أعتقدُ أنَّ العلاقةَ بينَ الإسلامِ وأوروبَّا علاقةٌ جدليَّةٌ، وليست علاقةً -كمَا نتصوَّرُهَا- سهلةً وبسيطةً، فيهَا صُعودٌ وهُبوطٌ.
الدُّكتور/ إسماعيل سراج الدِّين، عَبَّرَ بصدقٍ عن بعضِ جسُورِ ومعابرِ اللِّقاءِ، مِثلَمَا هُوَ الأمرُ بالنِّسبةِ للأندلسِ، ولكنِّي أُذَكِّرُ الجميعَ بالحربِ المسمَّاةِ ظُلمًا بـ«الحروبِ الصَّليبيَّةِ»؛ وهِيَ حربُ الفرنجةِ، الَّتي كانت امتدادًا للتَّبادُلِ المعرفيِّ بينَ الإسلامِ والغربِ، ورغم أنَّهَا كانت حُرُوبًا بالسُّيوفِ، ومقارعةً في ميادينِ القتالِ، إلا أنَّها كانت بالضَّرورَةِ فتحًا لبابٍ واسعٍ لِتَبَادُلِ المعرفةِ، ونتذكَّرُ أسماءَ صلاحِ الدِّين ولويسَ التَّاسعِ وغيرِهِ الَّتي أشعرت الإسلامَ أنَّهُ لا يعيشُ وحدَهُ، وأشعرت الأوروبيِّينَ أنَّ الإسلامَ دينٌ لهُ مَكَانتُهُ وقِيمتُهُ، فضلًا عنِ التُّراثِ الضَّخمِ الَّذي استفادَ بهِ علماءُ أوروبَّا في العصورِ الوسطَى، ومعارفِ العربِ والمسلمينَ الَّتي استمدُّوهَا من خلالِ اليونَانِ، ومِن خلالِ مصرَ القديمةِ مهدِ الحضاراتِ جميعًا.
لذلِكَ فأنَا أعتبرُ أنَّ التَّواصُلَ بينَ الإسلامِ وأوروبَّا سلبًا وإيجابًا، هُو صفةٌ مهمَّةٌ يجبُ أن نلتفتَ إليهَا؛ لأنَّ المعرفةَ ليست بالضَّرورةِ أن تنشأَ في ظِلِّ

علاقاتٍ تقومُ علَى السَّخاءِ والرَّخاءِ، ولكنَّهَا يمكنُ أيضًا أن تقومَ علَى العَلاقةِ الَّتي تتَّسِمُ بالجَدَلِ والعقلِ النَّقديِّ والرَّفضِ المتبادَلِ في بعضِ الأحيانِ.
نحنُ الآنَ -أيُّهَا السَّيِّداتُ والسَّادةُ- في مُنعَطَفٍ صعبٍ يَتَعَرَّضُ فيهِ الإسلامُ لحَملَةٍ ضاريةٍ تُشَوِّهُ صُورتَهُ، وتحاولُ أن تنالَ من مكانتِهِ، والإسلامُ دينُ التَّسامُحِ ودينُ المحبَّةِ ودينُ الرَّحمةِ، وهُوَ أبعدُ مَا يكونُ عمَّا يحاولُونَ إلصاقَهُ بهِ، يكفِي أن أُذَكِّرَكُم جميعًا أنَّنَا في مصرَ في بلَدِ الأزهرِ، لدينَا عشرةُ معابدَ يهوديَّةٍ في القاهرةِ وحدَهَا، كُلُّها صالحةٌ لأداءِ الشَّعائرِ لِمَن أرَادَ، لم يَمسَسهَا أحدٌ بسُوءٍ، أليسَ هذَا دليلًا علَى سَماحةِ بلدِ الأزهرِ، وشعبِ الأزهرِ كتعبيرٍ عنِ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ كُلِّهَا؟ ذلكَ هُوَ دَأبُنَا، وذلكَ هُوَ فِكرُنَا.
ولعلَّكُم تتذكَّرُونَ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مرَّت أمامَهُ جنازةٌ فانتفضَ واقفًا، فقَالَ لهُ أحدُ الصَّحابةِ: لماذا يا رسولَ اللَّه، إنَّ الجنازةَ ليهوديٍّ؟، فقالَ لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: أليسَت لنفسٍ بشريَّةٍ؟
إنَّ هذهِ الواقعةَ تُلَخِّصُ تمامًا فِكرَ الإسلامِ، وفلسفةَ الإسلامِ، والعقليَّةَ الرَّائعةَ والعظيمةَ لنَبيِّ الإسلامِ صلى الله عليه وسلم، ولذلِكَ فإنَّني أقولُ في بدايةِ هذه الجلسةِ الَّتي نتحدَّثُ فيهَا عنِ العلاقةِ بينَ الإسلامِ والغربِ: إنَّ مَا يجرِي حاليًا بينَ الجالياتِ الإسلاميَّةِ وبعضِ الدُّولِ مثلَمَا هُوَ الأمرُ في فرنسَا وبلجيكَا وألمانيَا وربَّمَا في انجلترا، هُوَ أمرٌ يحتاجُ إلى التَّأمُّلِ؛ لأنَّ هذهِ الجالياتِ ذهبت إلى هذِهِ البلادِ إحساسًا منهَا بنوعٍ من التَّقارُبِ في الفَهمِ المُشتركِ، ولم تذهب معاديةً ولا غازيةً ولا طامعةً، ولهذَا فإنَّني أتطلَّعُ إلى أن تتمكَّنَ هذه الدُّولُ منِ استيعابِ هذه الجالياتِ علي قَدَمِ المساواةِ مع احترامِ خصوصيَّتِهَا وتقديرِ كثيرٍ من مشاعرِهَا.
وأنا أُثَمِّنُ - يَا فضيلةَ الإمامِ الأكبرِ - حديثَكَ عن كليَّةِ اللُّغاتِ والتَّرجمةِ بجامعةِ الأزهرِ، وأعترفُ لكَ أنَّ أفضلَ مَن يتحدَّثُونَ اللغاتِ الأجنبيَّةَ في سفاراتِنَا في الخارجِ هُم مِن خريجِي كليةِ اللغاتِ والتَّرجمةِ، وهذِهِ شهادةُ حقٍّ، فخيرًا تفعلونَ بالانفتَاحِ علَي العالَمِ؛ لأنَّ اللغةَ هيَ الوسيطُ الحقيقيُّ الَّذي يَحمِلُ الأفكارَ والآراءَ إلَى الآخَرِ.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته